أخطاء في تربية الأبناء

د.عادل الشدي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أخطاء في تربية الأبناء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهـــداة، والنعمة المسداة، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فإن تربية الأبناء ليست عملية عشوائية سهلة يمارسها كل أحد دون علم أو دراية، وإنما هي عملية معقـــدة ذات معـــايير دقيقـــة ومنضبطة بالضوابط الشرعية، وقابلة للاجتهادات الشخصية والرؤى النفسية المبنية على تحقيق مصالح الأطفال وتنمية مداركهم وتوسيع أفقهم، ودرء المفاسد والشرور عنهم.

ونظراً لأن هناك من يمارس عملية التربية بشكل نمطي جامـــد، من خلال تقليد الآباء، وتوارث الأجيال، فقد نتج عن ذلك كـــثير من الأخطاء في التربية، وتأثر بذلك الأبناء، حيث تولدت لـــديهم العديد من السلوكيات والعادات السلبية، التي تعاني منـــها الأســـر والمجتمعات.

وفي هذه الرسالة سوف نشير إلى بعض تلك الأخطاء المهمة مع ذكر العلاج والتصحيح، والله الموفق والمعين.

١- الاستهانة بقضية التربية

فبعض الآباء لا يولي تلك القضية أدنى اهتمام، وإنما يترك أبناءه هكذا ينشأون دون أدنى مسئولية، ويرى أن مسؤوليته لا تتعـــدى توفير المأكل والمشرب والملبس والمأوى، وينسى قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾[بالتحريم: ٦].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: (علموهم وأدبوهم). وينســـى كذلك قول ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ، ومسئول عـــن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها**»(متفق عليه).

قال شوقي:

فـــرب صـــغير قـــومٍ علمـــوه
سمـــا وحمـــى المســـومة العرابـــا
وكـــان لقومـــه نفعـــاً وفخـــراً
ولـــو تركـــوه كـــان أذى وعابـــا
فعلِّمَ مـــا اســـتطعت لعـــلّ جـــيلاً
ســـيأتي يُحـــدث العجـــبَ العُجابـــا

وقال ابن القيم رحمه الله: (فمن أهمل تعليم ولده مـــا ينفعـــه، وتركه سدًى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جـــاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الـــدين

وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت! أنــت عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني صغيراً، فأضعتك شــيخاً). (تحفة المودود).

٢- هيمنة الآباء

وهذا الخطأ هو ما يضاد الخطأ الأول، حيث يقوم الآباء هنــا بدور المهيمن على كل تصرفات الأبناء بحيث يلغون شخصــياهم، ويصادرون آراءهم، ولا يرون فيهم سوى نماذج للطاعة العميــاء، وهذا -بلا شك- يتسبب في سلبيات كثيرة منها:

١- ضعف الشخصية وعدم الثقة بالنفس.

٢- الإصابة بالانطواء والخجل المرضي.

٣- ضعف القدرات الإبداعية.

٤- الفساد عند الكبر حيث يشعر الابنُ بزوال الأغلال الــتي كانت تُقيده، فيميل إلى الانفلات من كافة الضوابط ولو كانــت صحيحة.

٥- الإصابة بالأمراض النفسية والجسمانية.

إن التربية السليمة تؤيد إعطاء الأبناء جانبا كبيراً من الحرية فيما يتعلق بشئوهم الخاصة، من حيث اتخاذ القرارات، والتعــبير عــن الرغبات، وتحمل المسئوليات، بحيث يكون ذلك كله في إطار مــن السلوكيات السليمة والآداب الكريمة التي عمل الآباء على تأصيلها

في نفوس أبنائهم.

٣- تناقض القدوة

إن الوالدين هما أول من يؤثر في الطفل، ويكسبانه كثيراً من صفاته وعاداته، كما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوَّده أبوه
وما دان الفتى بحجًى ولكن
يعلمه التدين أقربوه

فإذا كان الوالدان على أخلاق طيبة وسيرة حسنة اكتسب الأبناء منهم بعض صفاهم الإيجابية، وإذا كانا متناقضين بحيث يأمران بشيء ويفعلان شيئاً آخر، أثر ذلك سلباً على الأبناء.

ومن التناقض: أن يأمر الوالد أبناءه بالصدق وهو يكذب، أو يأمرهم بالأمانة وهو يسرق، أو يأمرهم بالوفاء وهو يغدر، أو يأمرهم بالبر والصلة وهو عاق لوالديه، أو يأمرهم بالصلاة وهو تاركها ، أو يأمرهم بعدم التدخين وهو يدخن، فهذا التناقض يُسقط هذا المربي من أعين الأبناء، ولا يجعل لكلامه أي قيمة، قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[البقرة: ٤٤].

وقال الشاعر:

يــا أيهــا الرجــل المعلــم غــيرَه
هــلاَّ لنفســك كــان ذا التعلــيمُ

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا
كيمــا يصــح بــه وأنــت ســقيمُ

ونــراك تصــلح بالرشــاد عقولنــا
أبداً وأنــت مــن الرشــاد عــديم

لا تنــه عــن خلــقٍ وتــأتي مثلــه
عــارٌ عليــك إذا فعلــت عظــيم

ابدأ بنفســك فانهها عــن غيهــا
فإذا انتــهت عنــه فأنــت حكــيم

فهناك يُقبــل مــا تقــول ويقتــدى
بــالقولِ منــك وينفــع التعلــيم

٤- القسوة

إن الواجب على الآباء أن يعاملوا أبنــاءهم بالرحمــة واللــين والرأفة، وهذا هو هديُ النبي ﷺ في معاملة الصغار، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قبل النبي ﷺ الحسن بن علي ﷺ، وعنده الأقــرع بــن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «**من لا يرحم لا يُــرحم**» [متفــق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: «نعم» قالوا: لكنا والله ما نقبل، فقال رسول الله ﷺ: «**أو أملك إن كان الله نـــزع الرحمة من قلوبكم**» (متفق عليه).

إن القسوة والشدة في العقاب تنتج نماذج مضطربة التفكير، غير قادرة على قيادة أنفسها، فضلاً عن قيادة الآخرين.

لقد ساد في الزمان الماضي أن القسوة وشدة الضرب هي الـــتي تنمي القوة والشجاعة والرجولة لدى الأطفال، وتجعلهم قـــادرين على تحمل المسئولية، والاعتماد على الذات، وقد ثبت خطأ هـــذه التصور، لأن القسوة تترك آثاراً نفسية مؤلمة على الأطفال، وتـــدفع الأطفال إلى العناد والعدوانية، وتعيق وصولهم إلى مرحلـــة النضـــج العقلي، وتشعرهم دائماً بالدونية والإهانة وفقدان الكرامة.

ولا يعني هذا أننا نمنع من العقاب على الإطلاق، بل ينبغي أن يكون هناك عقاب أحياناً ، على ألا يتعدى هذا العقـــاب حـــدود الرحمة والرفق، كما قيل:

فقسا ليزدجروا ومـــن يـــك حازمـــا
فليقس أحيانـــاً علـــى مـــن يـــرحمُ

٥- التساهل مع المنكرات

وكما أن القسوة مرفوضة، فإن التساهل مع المنكرات كـــذلك مرفوض، وهو من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الآباء، وحجتهم

في ذلك أن الطفل ما زال صغيراً، وأنه سوف يترك هذه المنكـــرات عندما يكبر، وهذا ليس صحيحاً، لأن من تعود شـــيئاً في صـــغره صعب عليه التخلص منه عند الكبر ، قال ابن القـــيم رحمـــه الله: (وكم من أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة، بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهوته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانـــه، وأنـــه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة. وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد، رأيت عامته مـــن قبل الآباء) (تحفة المودود).

ومن أعظم أنواع التساهل مع الأبناء عدم حثهم علـــى إقامـــة الصلاة والاهتمام بها، والنبي ﷺ يقول: «**مروا أبناءكم بالصـــلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**» (رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني).

فالأب الذي يذهب إلى المسجد ويترك أبناءه نائمين، أو يلعبون فإنه مخطئ، لقوله تعالى: ﴿**وَأْمُـــرْ أَهْلَـــكَ بِالصَّـــلَاةِ وَاصْـــطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾[طه: ١٣٢].

وعليه كذلك أن ينهاهم عن سماع الموسيقى والغناء، وينـــهاهم عن مشابهة الكفار في ملابسهم وعاداتهم، وينهاهم عـــن التعلـــق بالمشاهير، من يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ولـــيكن زاده في ذلك كله هو الرفق واللين والإقناع والحوار الهادئ والعلاقة الحميمة مع الأبناء.

٦- إهمال الواقع

ومن الأخطاء في التربية إهمال الواقع والجمود على النموذج القديم، وعدم التجديد بما يتلاءم مع متطلبات العصر، فيهتم المربي مثلاً بالسباحة والرماية وركوب الخيل، ويترك المهارات الأخرى التي يتطلبها العصر، كعلوم الحاسب الآلي (الكمبيوتر) وتعليم اللغات الأجنبية، والتدريب على مهارات الإلقاء والخطابة والكتابة، وإتقان إحدى ألعاب الدفاع عن النفس الحديثة وغير ذلك، مما يتسبب في تخلف هؤلاء – الذين لم يهتم مربوهم بتطوير قدراتهم – عن أقرانهم، فيؤدي ذلك إلى شعورهم بالنقص، وانعزالهم عن أقرانهم الذين تفوقوا عليهم في كثير من مجالات الحياة.

٧- عدم الاعتراف بالخطأ

كم منا من عاقب أبناً له خطأ وهو له ظالم.

كم منا من اتهم أحد أبنائه وهو برئ.

كم منا من ضرب أحد أبنائه بسبب وشاية كاذبة.

ومع أن الوالد يعرف بعد ذلك أنه أخطأ في حق ابنه، إلا أنه لا يعتذر منه، ولا يعترف بخطئه، وكأن هذا الابن لا حقوق له ولا كرامة ولا شعور.

وهذا بلا شك سلوك خاطئ، وهو يولد في نفوس الأبناء صفات سيئة كالكبر والغرور والتعصب للرأي وإن كان فاسداً،

والتمادي في الخطأ وغير ذلك.

ولو أن الوالد قام بالاعتذار لابنه، لكان ذلك تصرفاً سليماً، بحيث يحول المربي خطأه إلى سلوك إيجابي يؤثر في نفوس الأبناء، فيدعوهم إلى ما يقتضيه هذا السلوك من التواضع للحق، والاعتراف بالخطأ، والتسامح في معاملة الآخرين.

٨- الفردية في اتخاذ القرارات

لا شك أن الأب هو الراعي وهو القيم وهو المسئول عن أهل بيته، ولكن ليس معنى ذلك أن ينفرد باتخاذ كافة القرارات دون الرجوع إلى من في البيت، فإن ذلك يتسبب في سيادة روح التسلط بين الأبناء، بحيث يتسلط الكبار على الصغار، فيقومون بقمعهم كما يفعل والدهم معهم في رأيهم.

وأذكر هنا ذلك الرجل الذي كان يأخذ زوجته وأولاده بسيارته في يوم الإجازة، وهم لا يعلمون إلى أين سيذهب بهم، وإذا سأل أحد عن ذلك عاقب الجميع بالرجوع إلى البيت وحرمانهم من النزهة التي ينتظرونها بشوقٍ ولهفة، مع أنهم لا يعلمون طبيعتها.

أليس الأفضل أن يجمع هذا الأب أبناءه، ويشاورهم في الجهة التي يحبون الذهاب إليها؟ ماذا سيخسر لو فعل ذلك؟ .. ولكنها النفوس التي لا ترى نفسها إلا بكبت الآخرين وإلغائهم، والسيطرة عليهم.

٩- عدم احترام الخصوصيات

ينبغي أن نعلم أطفالنا احترام الخصوصيات، حتى يكونوا دقيقين في الفصل بين فضاءاهم الشخصية والفضاءات التي يعـيش فيهـا الآخرون.

ولقد وجهنا القرآن الكريم إلى أن نعلم أطفالنا ومن يكـون في خدمتنا في البيوت ضرورة أن يستأذنوا قبل الدخول علينا في أوقات تعد أوقات راحةٍ، وأوقاتاً خاصة لا يكون المـرء فيهـا مسـتعداً لاستقبال أحد.

ولذا فإن على الأبوين – ولا سيما الأم – أن يعلمـا الطفـل جوهر خصوصيات الآخرين وحدودها، فلا يدخل على أحـد في مكان خاص دون استئذان، ولا يفتح شيئا مغلقاً ليس لـه، سـواء أكان باب بيت، أو ثلاجة، أو كتاباً، أو دفتراً، أو صندوقاً، مهمـا طالت إقامته في ذلك المكان[١].

إن بعض البيوت انعدم فيها احترام الخصوصيات، فنشأ الأبناء فيها على الفوضى والهمجية والعدوان على حقوق الآخرين.

إن على الآباء أن يحترموا أولاً خصوصيات أبنائهم، فيطرقـوا الباب قبل الدخول، ويكتموا أسرارهم، ولا يعيروهم بذنب، بـل يستروا عليهم، ويقيلوا عثراهم، فإن فعلوا ذلك، نجحوا في تعلـيم

---

(١) دليل التربية الأسرية: (ص١٣٢).

أولادهم احترام خصوصيات الآخرين.

١٠ – الإقصاء

إن بعض الآباء يرى من العيب أن يجلس الطفـــل في مجـــالس الكبار، فيعمل على طرده وتعنيفه وإقصائه، إذا هو فكر في اقتحـــام مجالس الكبار.

ولا شك أن الطفل ينبغي أن يؤذن له أحياناً في الجلوس مـــع الكبار، للأخذ عنهم، والتعلم والاستفادة من خبراتهم. وقـــد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ أتي بشراب، فشرب منه، وعـــن يمينه غلام أصغر القوم، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء**»؟ ! فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثـــر بنصيبي منك أحداً، فتله رسول الله ﷺ في يده.

فما أعظمه ﷺ من هاد ومرب ومعلم، تتعلم منه البشرية على جميع مستوياتها في كل زمان ومكان، فالمنهج الإسلامي الربـــاني لا يمنع الأطفال الصغار من مخالطة الكبار ومجالســـتهم في مجالســـهم ومساجدهم وتجمعاتهم وأسفارهم وأنديتهم، وذلك حتى يكتســـبوا الخبرات، ويشاركوا في الأعمال، ويتدربوا على المسؤوليات.

وعزل الصغار عن الاتصال بالكبار هو منـــهج ســـلبي وغـــير عملي، ويدع الصغار بعضهم لبعض، فلا يتعلمون إلا السفاســـف من الأمور، وتستهويهم الشياطين، فيتعلمون الشرور، بـــدلاً مـــن مخالطة الكبار وتعلم معالي الأمور(١).

---

(١)العشرة الطيبة: (ص١٢٤ ، ١٢٥).

* **المصادر:**

* دليل التربية الأسرية... للدكتور/ عبد الكريم بكار
* العشرة الطيبة مع الأولاد... محمد حسين
* كيف تربي أبناءك في هذا الزمان؟ د/ حسان شمسي باشا
* التقصير في تربية الأولاد... محمد إبراهيم الحمد
* ٢٥ طريقًا لتصنع من ابنك رجلاً فذًا.. أكرم مصباح عثمان.
* ٥٠١ طريقة لتعزيز الطفل بنفسه... روبرت د. رامسي.

***